

حول كتاب سيبويه

للدكتور حنا جميل حداد

جامعة اليرموك - اربد

الذي لا خلاف عليه أن سيبويه لم يترك للمكتبة العربية من إنتاجه الفكري غير مصنف واحد هو الذي اشتهر باسم "الكتاب"، ونال من الانتشار والشهرة مكانة لم يبلغها مصنف آخر لنقرده بما حوى، وتميّزه عن غيره مما صنف في موضوعه، حتى أسماه الناس "قرآن النحو"^(١)، وصار جديراً بمقولة أبي عثمان المازني عنه: "من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"^(٢).

ولا خلاف أيضاً حول أهمية هذا الكتاب، وجدارته بهذا الكم الوافر من الدراسات المتنوعة التي تناولته بالدرس وعالجت قضاياها بالشروح، فذُلَّت صعابه ويسرت فهمه، وصيّرته مرجعاً رئيساً للعديد من الدراسات النحوية الجادة والبحوث اللغوية الرصينة.

ولكن أهمية هذا الكتاب ومكانته المرموقة لا تمنعنا من الاعتقاد بأنه لم يسلم على مر الأيام من العبث، وأن نقصاً - لا نستطيع الآن تقديره - قد وقع فيه، فأُسقطت منه عبارات نثرية كثيرة وشواهد شعرية أكثر، وأضيفت إليه بدلاً منها عبارات جديدة وشواهد شعرية أخرى ليست لها قوة الشواهد المُسقطّة وأهميتها. فإننا نعتقد أن نُسخَه المتداولة الآن بين أيدينا على الرغم مما قيل عنها من أنها: "أصح الطبقات وأتمها"^(٣) ليست مطابقة لنسخة الكتاب الأصلية ولا للنسخة المنقولة عنها، وأن كتاب سيبويه كما كتبه بنفسه، وكما خلفه للعالم من بعده ما زال مجهولاً عندنا بعيداً عن متداول أيدينا. وحجتنا فيما ندعيه جملة حقائق هي:

أولاً: ليس في مقدمة الكتاب ما يشير إلى أنه بداية له، وليس في نهايته ما يشير إلى انتهائه، فهو مبتور البداية والنهاية. وليس مقنعاً أن يقال: إن هذا الكتاب جاء مغايراً للمألوف من مصنفات ذلك العصر، مخالفاً لمنهج التأليف الذي تعود الناس عليه إذ ذاك. إلا أن يقوم على ذلك دليل، وتنهض بيّنة.

ثانياً: إن الجمل والعبارات التي وردت في كثير من المصنفات التي اتّكأت على كتاب سيبويه أو رجعت إليه لا تطابق بالموازنة نظائرها في النسخة التي بين أيدينا اليوم، فالاختلاف بين العبارات كان في أكثر

(١) مراتب النحويين ص ١٠٦.

(٢) نزهة الألباء ص ٦٣، وقد نسب هذا القول في إنباه الرواة ٣٤٨/٢ للمدني(٤).

(٣) بروكلمان ١٣٦/٢ وفهرس شواهد سيبويه ص ٩.

الأحيان صريحاً، بحيث يؤكد أن النسخة التي اعتمدت عليها تلك المصادر أو رجعت إليها ليست هي النسخة التي بين أيدينا الآن.

يضاف إلى هذا أن بعض الحواشي والتعليقات التي كان يدونها دارسو الكتاب والمطلعون عليه قد اختلطت مع متن الكتاب الأصلي، حتى صار من العسير التمييز بينها إلا ما تيسرت معرفته بالدليل الواضح والبيّنة الصريحة، كما يبدو من قوله: "وزعم الخليل أن قولهم ظَرِيفٌ وظُرُوفٌ لم يكسّر على ظَرِيفٍ، كما أنّ المذاكير لم تكسّر على ذَكَّرٍ. وقال أبو عمر: أقول في ظُرُوفٍ هو جمع ظُرُوفٍ كُسّر على غير بنائه وليس مثل مَذاكير، والدليل على ذلك أنك إذا صغرت قلت ظَرِيفُونَ، ولا تقول ذلك في مَذاكير"^(١).

أما أبو عمر هذا فهو أبو عمر الجرمي، وقد نصّ على ذلك صراحة أبو سعيد السيرافي في شرحه للكتاب^(٢). ولسنا نعتقد بعد هذا أن تعليق الجرمي هو الوحيد الذي اختلط بمتن الكتاب، بل إن هناك تعليقات كثيرة غيره قد تسللت إلى متن الكتاب وذابت في أحشائه، ولم يمنع من التعرف عليها أو الكشف عنها إلا عدم التصريح بأسماء معلقينا.

ثالثاً: نقول المصادر: إن أبا عمر الجرمي قال: "نظرت في كتاب سيبويه فاذا فيه ألف وخمسون بيتاً، فأما الألف فعرفت أسماء قائلها، وأما الخمسون فلم أعرف قائلها"^(٣). وعلى الرغم من الاضطراب في رواية الخبر إلا أن العدد في كل منها واحد. أي أن عدد الشواهد الشعرية في نسخة الجرمي من كتاب سيبويه - وهي التي اطلع عليها في عصر صاحبها - كان ألفاً وخمسين بيتاً من الشعر. وهذا ما يدفعنا إلى التسليم - إلى حين - بأن العدد الصحيح للشواهد الشعرية في النسخة الأصلية لكتاب سيبويه هو الذي ذكره أبو عمر الجرمي.

ولكن، كم عدد الشواهد الشعرية في نسخة الكتاب التي بين أيدينا؟

يقول الأستاذ أحمد راتب النفاخ في مقدمة الفهرس الذي صنعه لكتاب سيبويه: "على أنني لا أستبعد أن يكون الأصل الذي نشر عنه الكتاب أتم أصوله في هذا الباب، وذلك أن عدة الشواهد فيه، وقد بلغت في إحصائي سبعة وأربعين بيتاً وألف بيت بإلغاء المكرر، تقارب ما أثر عن الجرمي في تعداد شواذه

(١) الكتاب (بولاقي) ٢٠٨/٢ و(هارون) ٦٣٦/٣-٦٣٧.

(٢) حاشية الكتاب (بولاقي) ٢٠٨/٢.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ٧٥، وخزانة الأدب ٨/١، ١٧٨.

في كلمته المشهورة^(١)، وهذا الرقم الذي ذكره الأستاذ النفاخ ينقص عن الرقم الذي أحصيته بعد تفريغ شواهد الكتاب شاهداً واحداً، أي أن الرقمين متطابقان تقريباً، وينقصان عما ذكره الجرمي في الخبر السابق شاهدين اثنين. ولا بأس في هذا، فالفرق ضئيل ودلالته واهية.

ولكنني عثرت على عدد غير قليل من الشواهد الشعرية ادّعى أصحاب المصنفات التي وردت فيها بأنها من أبيات الكتاب. وقد كان ممكناً عدم الالتفات إلى هذه النسبة أو الاطمئنان إلى أقوال أصحاب المصادر التي أوردتها لو أن عدد هذه الشواهد كان قليلاً، أو لو أن هذه الشواهد جاءت في مصدر أو مصدرين، ولكنها جاءت في مصادر مختلفة، كان من جملة مصنفات وضعت في المقام الأول لخدمة كتاب سيبويه وشرح شواهد، ومعظمها لعلماء أجلاء نثق ونطمئن إلى أمانتهم العلمية. فما دلالة هذه النسبة؟ وماذا تعني هذه الشواهد غير القليلة التي نسبت صراحة إلى الكتاب وليست فيه، إلا أن تكون يد العبث قد امتدت إلى هذا الكتاب، فأضافت إليه وحذفت منه ونسبت إلى صاحبه ما هو بريء منه.

وفيما يلي ثبت بهذه الشواهد مع تعليقات أصحاب المصادر التي أوردتها.

١- فَمَالِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً وَمَا لِي إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبٌ

ذكره ابن السيرافي في كتابه "شرح أبيات سيبويه" ١٣٣/٢ على أنه مما أنشده سيبويه في كتابه، وقدمه بقوله: قال سيبويه في الاستثناء: قال الكميت: فما لي إلا آل ... إلخ.

٢- دَعْنِي فَأَذْهَبَ جَانِباً يَوْمًا وَأَكْفِكَ جَانِباً

ذكره الزمخشري في "المفصل" ص (٢٥٥)، وقدمه بقوله: وسأل سيبويه الخليل عن قوله تعالى: (٢)

(رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) فقال: هذا كقول عمرو بن معد يكرب دعني فأذهب ... إلخ.

وقد علق البغدادي (خزانة الأدب ٦٤٤/٣) على ما قاله الزمخشري قائلاً: أقول: بيت معد يكرب لم يورده سيبويه في كتابه البتة، لا هنا ولا في موضع آخر.

(١) فهرس شواهد سيبويه ص ٩.

(٢) المنافقون / ١٠.

٣- يَبْكِيكَ تَاءٍ بَعِيدُ الدَّارِ مَغْتَرِبِ يَا لَلْكُھُولِ وَلِلشُّبَّانِ لِلْعَجَبِ

أورده الصيمري (التبصرة والتذكرة ص ٣٥٩) في باب الاستغاثة، وقدمه بقوله: "فإذا استغثتَ باسمين أحدهما على الآخر كسرتَ لَامَ المعطوف، لأنَّ حرف العطف أزال اللَّبْسَ وشركَ بين الاسمين فتقول: يَا لَزَيْدٍ وَلَعَمْرُو، بكسر اللام من عمرو، لما بيَّنَّا وأنشد سيبويه: يبكيك ناء بعيد ... إلخ.

٤- تَكَادُ أَوَالِيهَا تَفَرَّى جُلُودُهَا وَيَكْتَحِلُ التَّالِي بِمُورٍ وَحَاصِبِ

ذكره ابن جني في كتابه "المنصف" (٥٧/٢)، وقدمه بقوله: وكأن الخليل إنما ذهب إلى القلب في هذا، لأنه رآهم قلبوا نظيره ممّا لامه صحيحة نحو قول الشاعر أنشده سيبويه: تكاد أواليتها ... إلخ.

٥- فَصَدَّقْتُهُ وَكَذَّبْتُهُ وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ

أورده الصيمري (التبصرة والتذكرة ص ٧٥٩) في باب "من أبنية المصادر"، وقدمه بقوله: وجاء على فعال، قالوا: كذب كِذَاب، وكتب كِتَاب، وأنشد سيبويه: فصدقته وكذبتة ... إلخ.

٦- أَتَيْتُ مُهَاجِرِينَ فَعَلَّمُونِي ثَلَاثَةَ أَحْرَفٍ مُتَبَاعَاتِ
وَخَطُّوا لِي أَبَاجِدٍ وَقَالُوا تَعَلَّمُ صَعْفُضًا وَفُرَيْسَاتِ

شرحهما الأعلام الشنتمري (تحصيل عين الذهب ٢/٢٦) على أنهما مما أنشده سيبويه في باب "تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الأسماء".

٧- صَفِيَّةٌ قَوْمِي وَلَا تَعْجَزِي وَبِكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمَرَةٍ

ذكره ابن رشيق في كتاب "العمدة" (١٤٨/١)، وقدمه بقوله: غير أن سيبويه أنشد فيما يجوز تقييده وإطلاقه: صفية قومي ... إلخ.

٨- يَـ _____ ا رَّبِّ اِنْ كُذِّ _____ ت قَبْلُ _____ ت حَجَّ _____ تِجْ
فَـ _____ لَ ا يَـ _____ زَالُ شَـ _____ ا حِجِّ يَأْتِيكَ بِـ _____ جْ
أَقَمَّ رُ نَهَّ _____ اتْ يُنْزِي وَفَرَّتْ _____ جْ

أورده الصيمري (التبصرة والتذكرة ص ٨٦٥-٨٦٦) في باب "إبدال الجيم"، وقدمه بقوله: وقد يبدلونها - أي الجيم - من الياء الخفيفة أيضاً، أنشد سيبويه: يارب إن كنت ... إلخ.

٩- مَرُّوا عَجَالِي وَقَالُوا كَيْفَ سَيِّدُكُمْ فَقَالَ مَنْ سُلُّوا: أُمْسَى لِمَجْهُودَا

شرحه العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٣١٠/٢)، وعلق عليه بقوله: أقول هذا من أبيات الكتاب ولم ينسب فيها إلى أحد.

١٠- لأَجْدِلَنَّكَ أَوْ تَمْلِكَ فَنَيْتِي بيدي صِغار طَارِفًا وَتَلِيدًا

شرحه العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٣٨٥/٤)، وعلق عليه بقوله: أقول: أنشده سيبويه ولم ينسبه إلى أحد.

١١- فَمَا سُبِقَ الْقَيْسِيُّ مِنْ ضَعْفِ حَيْلِهِ وَلَكِنْ طَغَتْ عِلْمَاءُ غِرْلَةٍ قُنْبَرٍ

ذكره ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات الكتاب ٣٧٠/٢) والبغدادي في كتابه (خزانة الأدب ١٩٦/٣) وابن الشجري في كتابه (الأمالى الشجرية) ٤/٢) وابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد ٤٨٧/٢)، وقدموه بقولهم: وأنشد سيبويه للفرزدق: فما سبق القيسي ... إلخ.

كما أشار الأعمى الشنتمري في كتابه (تحصيل عين الذهب ٤٢٤/٢) إلى هذا الشاهد بقوله: هذا آخر جملة ما اشتمل عليه الكتاب من الشواهد، وفي بعض النسخ في آخر الكتاب مما يحمل عن المازني أنه ألفاه مثبتاً فيه قول الفرزدق: فما سبق القيسي ... إلخ. وقد ذكر الاستاذ عبدالسلام هارون (الكتاب بتحقيقه ٢٦/١) أن هذا الشاهد وجد برواية: غرلة خالد بخط سيبويه نفسه عند رجل من بني هاشم يقال له عبدالسلام بن جعفر.

١٢- وَغَبْرَاءُ يَحْمِي دُونَهَا مَا وَرَاءَهَا وَلَا يَخْتَبِطُهَا الدَّهْرُ إِلَّا مُحَاظِرُ

ذكره ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات الكتاب ١١٤/١)، وقدمه بقوله: قال سيبويه، قال ذو الرمة: وغبراء يحمي ... إلخ.

١٣- فَقَلْنَا إِسْلَمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ فَقَدْ بَرَّيْتُ مِنَ الْإِحْنِ الصُّدُورُ

ذكره ابن الشجري في كتابه (الأمالى الشجرية ٣٧/٢-٣٨)، وقدمه بقوله: أما قول الآخر وهو من أبيات الكتاب: فقلنا أسلموا ... إلخ.

١٤- لَمْ أَرَأَيْتُ مَلَجًا رَادَ عَاذِرًا

أَخَذْتُ كُرْسِيَّ وَدَعَاؤُتُ عَاذِرًا

لِكُلِّ عَيْسَاءٍ تُشْرُ الدَّاعِرَ

يَخْرُجُ مِنْهَا ذَنْبًا حَبْرًا

رَزَقَ مَنَ الْـ رَزَقِ يَجِيءُ الْمَـائِرَا
مَنْ ذَا رَأَى مَثَلِ الْجَـرَادِ طَـائِرَا
سَـرَّتْ وَضَـرَّتْ بِأَدْيَا وَحَاضِرَا

أوردها ابن الأنباري في كتابه (المذكر والمؤنث ص ٥٥٢)، وقدمها بقوله: قال أبو هفان:
أنشدني الجرمي عن سيبويه لأعرابي: لما رأيت ملجراد ... إلخ.

١٥- وَخَادَعُ _____ تُ الْمَنِيَّةُ عِنْهُ كَ سِدَ _____ رَا

أورده ابن سيده الأندلسي في كتابه (المخصص ٨١/٣)، وقدمه بقوله: بدلالة ما أنشده سيبويه:
وخادعت المنية ... إلخ.

١٦- مَتَى تَرِدْنَ يَوْمًا سَفَارٍ تَجِدُ بِهَا أَدْيَهُمْ يَرْمِي الْمُسْتَجِيرَ الْمُعَمَّورَا

أورده ابن هشام في كتابه (شرح شذور الذهب ص ٩٦)، وقدمه بقوله: قال الشاعر: أنشده سيبويه:
متى تردن يوماً ... إلخ.

١٧- نَجَا سَالِمٌ وَالنَّفْسُ مِنْهُ مَشُوقَةٌ وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفَنٌ سَيْفٍ وَمِئْزَرَا

ورد في شرح أشعار الهذليين للسكري (ص ٥٥٨) ما نصه: بخط أبي الطيب أخي الشافعي قال
سيبويه: كأنه قال: نجا ولم ينجُ، كما تقول: تكلم ولم يتكلم، إذا كان كلامه خفيفاً، ونصب "جفن
سيف" على الاستثناء المنقطع. اهـ

ويشير هذا التعليق - كما هو واضح إلى أن هذا البيت وهو من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي هو
أحد أبيات الكتاب، ولذا علق محقق شرح أشعار الهذليين على هذا التعليق بقوله: لم أجده - يعني
الشاهد - في الكتاب لسيبويه المطبوع ولعله ساقط منه.

١٨- إِنَّ امْرَأً غَرَّهَ فِي الدُّنْيَا وَاحِدَةً بَعْدِي وَبَعْدَكَ فِي الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ

شرحه العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٤٧٦/٢)، وقدمه بقوله: أقول هذا البيت احتج به سيبويه
ولم يعزه إلى أحد.

١٩- تَرَاهُ إِذَا دَارَ الْعِشَا مُتَحَنِّفًا وَيُضْحَى لَدَيْهِ وَهُوَ نَصْرَانُ شَامِسُ

ذكره القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن ٤٣٣/١)، وقدمه بقوله: وقال الخليل: واحد النصارى نصري كمهري ومهاري. وأنشد سيبويه شاهداً على قوله: تراه إذا دار العشا ... إلخ.

٢٠- وَقَدْ يَسَّ عَ _____ يَلانَ وَمَ _____ نَ تَقَيَّسَ _____

ذكره السهيلي في كتابه (الروض الأنف ٩٩/٢)، وقدمه بقوله: وأنشد سيبويه: وقيس عيلان ... إلخ.

٢١- نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفِنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانُفُ

أورده الفخر الرازي في كتابه (التفسير الكبير ١٣٢/٣)، وقدمه بقوله: وأنشد سيبويه: نعلق في مثل السواري ... إلخ.

٢٢- لَوَادٍ _____ قُ الْأَقْفُ _____ رَابٍ فِيهِ _____ كَ _____ الْمَقَقُ

ذكره ابن منظور في كتابه (لسان العرب "مثل" ١٣٢/١٤)، وقدمه بقوله: ونظيره ما أنشده سيبويه: لواحق الأقرب ... إلخ.

٢٣- أَمَا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كُنْتُ حُرّاً وَمَا بِالْحَرِّ أَنْتَ وَلَا الْعَتِيقُ

أورده العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٤٠٩/٤)، وعلق عليه بقوله: أنشده سيبويه ولم يعزه إلى أحد.

٢٤- فَتَوَضَّحَ فَالْمِقْرَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ

ذكره القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن ٣٣١/٣)، وقدمه بقوله: كما أنشد سيبويه: فتوضح فالمقراة ... إلخ.

٢٥- عَجَائِبُ تُبْدِي الشَّيْبَ فِي قُلَّةِ الطُّفْلِ

أورده الصغاني في كتابه (الذيل والتكملة والصلة ٤٢٤/٥)، وقدمه بقوله: وقال الجوهري: وأنشد سيبويه: عجائب تبدي الشيب ... إلخ. وقد علق الصغاني على هذا الشاهد بقوله: ولم أجده في أبيات سيبويه.

٢٦- حَافَتْ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٍ لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالٍ

أورده الشنقيطي في كتابه (الدرر اللوامع ٩٦/١)، وعلق عليه بقوله: واستشهد سيبيويه والرضي بهذا البيت ... إلخ.

٢٧- بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْكَثِيبِ ضُحَى إِذْ أَتَى رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهِ

أورده المرزوقي في كتابه (شرح حماسة أبي تمام ص ١٧٨٤)، وقدمه بقوله: واستشهد سيبيويه بقوله: بينما نحن بالكثيب ... إلخ.

٢٨- فَمَا أَصْبَحْتَ عَالِأَرْضٍ نَفْسٌ فَقِيرَةٌ وَلَا غَيْرُهَا إِلَّا سُلَيْمَانُ مَالِهَا

أورده ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات سيبيويه ٣٤٣/٢-٣٤٤)، وقدمه بقوله: قال سيبيويه في باب ما جاء شاذاً فخففوه على ألسنتهم: ومن الشاذ قولهم في بني العنبر وبني الحارث: بلحارث وبلعنبر وعلماء بنو فلان، قال الفرزدق: فما أصبحت عالارض ... إلخ. ثم علق ابن السيرافي على هذا الشاهد بقوله: "هذا البيت يقع في بعض النسخ، وفي بعضها لا يقع".

٣٠- لِهَنَّاكَ مِنْ عَبْسِيَّةٍ لَوْسِيمَةً عَلَى هَنَاتٍ كَاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا

ذكره ابن فارس في كتابه (اللامات، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج ٤، المجلد الثامن والأربعون ص ٧٧٣)، وقدمه بقوله: وأنشده سيبيويه: لهنك من عبسية ... إلخ.

٣١- تَرَاهُ وَقَدْ فَاتَ الرُّمَاءَ كَأَنَّهُ أَمَامَ الْكَلَابِ مَصْغِي الْخَدِ أَصْلَمُ

أورده ابن الخشاب في كتابه (المرتجل ص ٤٠) في فصل الاسم المعرب المفرد، وعلق عليه بقوله: هكذا أنشده صاحب الكتاب بالرفع.

٣٢- كَيْ تَجْنَحُونَ إِلَى سِلْمٍ وَمَا نَثَرْتُمْ قَتْلَكُمْ وَلَطَى الْهَيْجَاءِ تَضْطَرُّمُ

أورده كل من العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٣٧٨/٤)، والسيوطي في كتابه (شرح شواهد المغني ص ١٧٢)، وعلقا عليه بقولهما: هو من أبيات الكتاب ولم يعز إلى قائل.

٣٣- لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَنِيَّمْ

يَقْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَيْسِمٍ

أوردهما البغدادي في كتابه (خزانة الأدب ٣١١/٢)، وعلق عليهما بقوله: ... من رجز لحكيم بن معية الرعي ... نسبه سيبيويه في موضع آخر من كتابه.

وفيد كلام البغدادي هذا أن سيبويه قد استشهد بهذا الرجز مرتين في كتابه، فصرح بنسبته في الأولى وأغفلها في الثانية. فإذا عدنا إلى نسخة الكتاب التي بين أيدينا وجدنا أن سيبويه لم يستشهد بهذا الرجز إلا مرة واحدة من غير نسبة. (الكتاب ٣٧٥/١).

٣٤- أَشَاقَتُكَ أَطْعَالٌ بِحَفْرِ أَبْنَبِمَ نَعَم بُكْرًا مِثْلَ الْغَسِيلِ الْمُكَمَّمِ

أورده ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان، رسم "أبنبم")، وقدمه بقوله: وأنشد سيبويه لطفيل الغنوي: أشاقتك أظعان ... إلخ.

٣٥- وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَغْدِمَا

ذكره الأعلام الشنتمري في كتابه (تحصيل عين الذهب ٤٧١/١)، وقدمه بقوله: وأنشد من بعده قول النمر: وإن من خريف ... إلخ.

٣٦- وَأَتَى صَوَاحِبُهَا فَقُلْنَ هَذَا الَّذِي مَنَحَ الْمَوَدَّةَ غَيْرِنَا وَجَفَانَا

أورده الصيمري في كتابه (التبصرة والتذكرة ص ٨٥٨) في باب إبدال الهاء، وقدمه بقوله: وأنشد سيبويه: وأتى صواحبها ... إلخ.

٣٧- عَجِبَ النَّاسُ وَقَالُوا: شِعْرٌ وَضَّاحُ الْيَمَانِي
إِنَّمَا شِعْرٌ عَزَى قَدْ دُ قَدْ خُلِطَ بِالْجُلْجَلَانِي

أوردتهما ابن عبد ربه الاندلسي في كتابه (العقد الفريد ٣٥٧/٥)، وقدمهما بقوله: ومن قولهم في تسكين المتحرك وقد استشهد به سيبويه في كتابه: عجب الناس ... إلخ.

٣٨- إِذَا فَاقَدَ حَظْبَاءُ فَرَخَيْنَ رَجَعَتْ ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِي الْخَلِيطِ الْمُبَايِنِ

أورده ابن منظور في كتابه (لسان العرب "فقد" ٣٣٤/٤)، وعلق عليه بقوله: قال ابن سيده: هكذا أنشده سيبويه بتقديم خطباء على فرخين.

٣٩- إِذَا مَا تَرَعَرَعَ فِينَا الْعَلَامُ فَمَا إِنْ يُقَالَ لَهُ مَنْ هُوَ

أورده ابن يعيش في كتابه (شرح المفصل ٨٤/٩)، وقدمه بقوله: وأما "هو" من الأسماء المضمرة، فإن الأكثر الوقف عليها بالهاء لبيان حركة الواو، وكذلك الوقف على "هي"، تقول: هيه ولا تحذف منه شيئاً كما تحذف من المتمكن، قال الشاعر أنشده سيبويه: إذا ما ترعرع ... إلخ.

أورده ابن جني في كتابه (التمام في تفسير أشعار هذيل ص ٦٥)، وقدمه بقوله: وعليه بيت الكتاب: لا يَنْفَعُ الشَّاوي ... إلخ.

٤١- قَال أَرَاهَا يَحْسِرُ الْاَلُ مَرَّةً قَتَبْدُو وَأَخْرَى يَكْتَسِي الْاَلُ دُونَهَا

أورده ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات سيبويه ١/١٠٧)، وقدمه بقوله: قال سيبويه في الظروف: وقد يكون في دونها الرفع، يريد أنه يجوز فيه التمكن، ووقع بعد هذا في الكتاب بيتان، وقيل إنهما ليسا من الكتاب، أحدهما بيت ذي الرمة: فقال أراها يحسر ... إلخ.

٤٢- فَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ قَدْ رَأَيْتُهَا وَعَشْرُونَ مِثْلَهَا إصْبَعًا مِنْ وَرَائِهَا

أورده ابن يعيش في كتابه (شرح المفصل ٤/١٣٠)، وقدمه بقوله: وأنشد سيبويه لعبد بني الحساس: فأشهد عند الله ... إلخ.

ويقول أبو جعفر النحاس: ^(١) "جُمْلَةُ أَيْبَاتِ كِتَابِ سَيْبَوِيهِ مِمَّا جَمَعَهُ مِنَ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ وَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ وَيُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ وَأَبِي الْخَطَّابِ وَغَيْرِهِمْ أَلْفٌ وَخَمْسُونَ بَيْتًا، مِنْهَا خَمْسُونَ غَيْرَ مَعْرُوفَةٍ، سَأَوْجِزُ فِي شَرْحِ مَعَانِيهَا وَحَلِّ مُشْكَلَاتِهَا وَلَا أَدْخُلُ بِمَهْمٍ مِنْ إِعْرَابِهَا". فإذا نحن أحصينا مجموع ما أورده النحاس في كتابه من الشواهد الشعرية، بعد إسقاط المكرر، لوجدناها (٧٠٩) شواهد، ووجدنا من بينها (٦٨) شاهداً غير موجودة في كتاب سيبويه.

وقد نتفق مع محقق الكتاب في قوله: ^(٢) "وأكبر الظن أنها - أي الأبيات غير الموجودة في كتاب سيبويه - مما استشهد به النحاس لتوضيح قضية أو تبين مشكلة". فقد نص النحاس نفسه على ذلك صراحة عندما ساق بعض هذه الأبيات رواية عن أبي علي قطرب ^(٣) (ت ٢٠٦هـ)، وهو أحد تلاميذ سيبويه، ولكن أنى لنا أن نتفق معه في بعضها الآخر وقد صُدِّرْتُ بالقول: أنشدني الخليل أو أنشدني الخليل ويونس ^(٤)، ونحن نعرف أن هذه العبارات هي عبارات سيبويه في كتابه، وأن معظم ما رواه سيبويه في كتابه كان عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب.

(١) شرح أبيات سيبويه للنحاس ص ٢٨.

(٢) شرح أبيات سيبويه للنحاس ص ١٩.

(٣) المصدر السابق ص ٧٧، ٢٠٥.

(٤) المصدر السابق ص ٦١، ٦٨.

ويبدو مقبولاً أن نعد الأبيات التي جاءت في ثانيا الباب أبياتاً أوردتها النحاس لتوضيح القضايا وتبيين المشكلة، ولكن ما موقفنا من الأبيات التي افتتح النحاس بها بعض أبواب كتابه هذا؟ ألا يعني أن يفتح الرجل الباب من كتابه بشاهد شعري أن هذا الشاهد هو من أبيات سيبويه التي سيدور الحديث عنها، والتي سيقوم بشرح معانيها وحل مشكلاتها كما وعد؟

سوف نفترض أن معظم هذه الأبيات - ومنها التي قام الدليل عليها - مما استشهد به النحاس لتوضيح مشكل أبيات سيبويه فنستبعدا، ولكن بعضها الآخر لا يمكن إلا أن يكون من أبيات الكتاب التي شرحها النحاس، فالمنطق والعقل يقولان هذا، والأدلة تنهض دليلاً على إثباته، أما هذه الأبيات فهي:

٤٣- فَلَا لَغْوٌ وَلَا تَأْتِيهِمْ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقِيمٌ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٦١) باب "النفي والجود"، وقدمه بقوله: تقول: لا مالَ ولا مالٌ لك، إذا فتحت ذهبت به مذهب النفي وصيرت شيئين شيئاً واحداً، "لا" و"الاسم" ففتحت من غير تتوين، وأما الرفع فعلى معنى قولك: ليس مالٌ لك، أنشدني الخليل: فلا لغو ولا تأثيم ... إلخ.

٤٤- نَعْدُونَ عَقَرَ النِّيَبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمُقْنَعَا
افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٨٧) باب "يختار فيه النصب وليس قبله منعوت".

٤٥- إِنَّ الْحَيَّ وَالْقَوْمَ الَّذِي أَنَا مِنْهُمْ لَاهِلُ مَقَامٍ وَشَاءٍ وَجَامِلٍ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٦٨) باب "الحروف التي تكون مخففة في معنى مشددة"، وقدمه بقوله: من ذلك: إن زيدا قائمٌ، ف"إن" مخففة في معنى مشددة. قال: أنشدني الخليل بن أحمد: إن الحي والقوم ... إلخ.

٤٦- وَأَعُورُ مِنْ نَبْهَانٍ أَمَا نَهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ

أورده النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٦١)، وقدمه بقوله: وأنشدني الخليل ويونس في لغة النجديين والغوريين تهامة: وأعور من نبهان ... إلخ.

٤٧- رَأَتْ مَرَّ السَّنِينِ أَخْذَنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَلَالِ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٤٨) باب "ما يخبر فيه عن المضاف مرة إن شئت وإن شئت عن المضاف إليه".

فإذا نحن أضفنا هذه الشواهد إلى ما قيل إنها جاءت في كتاب سيبويه في أوثق نسخه وأتمها، لأصبح مجموع شواهد الكتاب الشعرية (١٠٩٧) شاهداً، ونكون حينئذ أمام واحد من هذه الاحتمالات الثلاثة:

الأول: إن هذه الشواهد الشعرية الجديدة هي حقاً من شواهد الكتاب، فيكون مجموع شواهد الكتاب الشعرية (١٠٩٧) شاهداً، ويقوى عندنا الاعتقاد بأن نسخة الكتاب التي بين أيدينا تنقص كثيراً عن النسخة الأم ولا تتطابق معها، ويكون كلام الجرمي لا أساس له من الصحة.

الثاني: إن أصحاب المصادر والمراجع التي ذكرت هذه الشواهد، وادعت بأنها من أبيات الكتاب - وكلهم ثقات أفاضل - مخطئون جميعاً، يتقولون على الكتاب وصاحبه، وينسبون إليه ما ليس منه، وهذا ما يزرع الثقة بهؤلاء الأعلام ويطعن في أمانتهم العلمية.

الثالث: إن الرقم الذي ذكره أبو عمر الجرمي لشواهد الكتاب الشعرية هو الرقم الصحيح، وإن هذه الشواهد التي عثرنا عليها كانت أصلاً من شواهد الكتاب الشعرية، ولكنها استُبعدت مع الأيام وحلت محلها شواهد جديدة. وهذا أيضاً ما يقوي الاعتقاد الذي نعتقده من أن هذه النسخة التي بين أيدينا اليوم من كتاب سيبويه تنقص الكثير، وأنها ليست مطابقة للنسخة الأم ولا للنسخة المنقولة عنها.

وإذا كانت هذه حال النسخة التي بين أيدينا من الكتاب، فإنها ليست أفضل حالاً من نُسخ السلف منه، فقد أدركوا هم أيضاً مثلاً أن زيادات قد وقعت في الكتاب، وأن بعض شواهد الشعرية ليست مما رواه سيبويه عن شيوخه وساقه في كتابه، فأشاروا إلى ذلك ونصوا عليه، ومع أن أكثر هذه الشواهد ليست مما في النسخة التي بين أيدينا إلا أن للأمر دلالة التي لا تخفى.

ويُعدُّ كتاب شرح شواهد الكتاب للأعلم الشنتمري (ت ٤٧٩ هـ)، وهو الذي أسماه "تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب" من أوفى المصنفات التي خدمت كتاب سيبويه، وتتبع شواهد الشرح والإيضاح، على الرغم من أن الأعلم الشنتمري - كغيره من شراح شواهد الكتاب - قد أغفل عدداً ليس قليلاً من هذه الشواهد فلم يتعرض لها، ولم يوردها في كتابه.

وإذا كان هذا الأمر مما يؤخذ عليه وقد وعد في بداية كتابه أن يتتبع هذه الشواهد على رتبة وقوعها في الكتاب، إلا أن مما يحمد له أنه نبّه إلى ما وجده دخيلاً على الكتاب من هذه الشواهد، وصرح بأسماء الذين أقحموها.

وفيما يلي ثبت بهذه الشواهد التي كانت مثبتة في النسخة التي كانت متداولة زمن الأعلام من الكتاب وجملته تعليقاته عليها:

- فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ: لِمَنْ جَمَلٌ رَحُو المِلَاطِ نَجِيبُ

أورده الأعلام في كتابه (١٤/١)، وقدمه بقوله: ومما أنشده الأخفش في الباب قول العجير السلولي: فبيناه يشري رحله ... إلخ.

- وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

أورد الأعلام في كتابه (١٤/١)، وقدمه بقوله: ومما أنشده الأخفش أيضاً في الباب قول الفرزدق: وما مثله في الناس ... إلخ.

- أَتَهْجُرُ لَيْلَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ

أورده الأعلام في كتابه (١٠٨/١)، وقدمه بقوله: ومما أنشده المازني في الباب قول المخبل السعدي: أتهجّر ليلي بالفراق ... إلخ.

- أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ

أورده الأعلام في كتابه (١٥/١)، وقدمه بقوله: ومما أنشده الأخفش في الباب لقيس بن زهير: ألم يأتيك والأنباء ... إلخ.

- فَرَجَّجْنَاهَا بِمِمَجَّةٍ رَجَّ الْقُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ

أورده الأعلام في كتابه (٨٨/١)، وقدمه بقوله: ومما أنشده الأخفش في الباب: فرججتها بمزجة ... إلخ.

- أُرْمِي عَلَيْهَا وَهِيَ فَرَعٌ أَجْمَعُ

وهي ثَلَاثُ أَذْرَعٍ وَإِصْبَعُ

أورده الأعلام في كتابه (٣٠٨/١)، وقدمه بقوله: ومما أنشده الجرمي في الباب: أرمي عليها ... إلخ.

- ثَأْرُنَا بِهَا قَتْلَى وَمَا فِي دِمَائِهَا وَقَاءٌ وَهْنُ الشَّافِيَاتُ الْحَوَائِمُ

أورده الأعلام في كتابه (٩٤/١)، وقدمه بقوله: ومما أنشده الزجاج في الباب عن المبرد للفرزدق: ثأرنا بها قتلى ... إلخ.

ولا أظن بعد هذا أن الجانب النثري في كتاب سيبويه أفضل حالاً من الجانب الشعري، فكما تسَلَّلت شواهد الشعر إلى هذا الكتاب أو أسقطت منه فلا بد أن جملاً كثيرة وعبارات أكثر قد أسقطت أو أضيفت إليه، وهذا جانب آخر من الكتاب عسى أن نتابعه في المستقبل بإذن الله.

الدكتور: حنا جميل حداد

مصادر البحث ومراجعته:

- الأمالي الشجرية لابن الشجري، حيدر أباد ١٣٤٩هـ.
- إنباه الرواة للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٠-١٩٧٣.
- بروكلمان - تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان، ترجمة: الدكتور عبدالحليم النجار، ط٢، القاهرة ١٩٥٩م.
- التبصرة والتذكرة للصيمري، تحقيق: الدكتور فتحي أحمد مصطفى، منشورات جامعة أم القرى ١٩٨٢م.
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب للأعلم الشنتمري، مطبوع بهامش كتاب سيبويه، بولاق ١٣١٧هـ.
- التمام في تفسير أشعار هذيل لابن جني، تحقيق: أحمد ناجي القيسي وآخرين، بغداد ١٩٦٢م.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب المصرية ١٩٢٣-١٩٤٩م. (طبعة مصورة).
- خزانة الأدب للبغداد، بولاق ١٢٩٩هـ.
- الدرر اللوامع للشنقيطي، مطبعة الجمالية بالقاهرة ١٣٢٨هـ. (طبعة مصورة).
- الذيل والتكملة والصلة للصغاني، تحقيق: عبدالحليم الطحاوي وآخرين، دار الكتب المصرية ١٩٧٠-١٩٧٧م.
- الروض الأنف للسهيلى، نشر: عبدالرؤوف طه سعد، القاهرة ١٩٧٣م.
- شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، تحقيق: الدكتور محمد علي الريح، القاهرة ١٩٧٤م.
- شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، بغداد ١٩٧٤م.
- شرح أشعار الهذليين للسكري، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، القاهرة بلا تاريخ.
- شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي، تحقيق: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٥١-١٩٥٣م.
- شرح شذور الذهب لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (طبعة مصورة).
- شرح المفصل لابن يعيش، مطبعة المنيرية بالقاهرة بلا تاريخ.
- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٣م.

- العمدة لابن رشيقي القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٢، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٥٥م.
- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٠-١٩٦٨م.
- فهرس شواهد سيبويه، صنة: أحمد راتب النفاخ، بيروت ١٩٧٠م.
- الكتاب لسيبويه، بولاق ١٣١٦هـ.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، (طبعة مصورة).
- اللامات لأحمد بن فارس، تحقيق: شاكراً الفحام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج٤، العدد ٤٨ لسنة ١٩٧٣.
- لسان العرب لابن منظور، بولاق ١٣٠٠-١٣٠٧هـ.
- المخصص لابن سيده الأندلسي، بولاق ١٣١٦-١٣٢١هـ. (طبعة مصورة).
- المذكر والمؤنث لابن الأنباري، تحقيق: الدكتور طارق الجنابي، بغداد ١٩٧٨م.
- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٥م.
- المرتجل لابن الخشاب، تحقيق: علي حيدر، دمشق ١٩٧٢م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر ببيروت (طبعة مصورة).
- المفصل للزمخشري، ط٢، دار الجيل ببيروت (طبعة مصورة).
- المقاصد النحوية للعيني، مطبوع على هامش خزانة الأدب للبغداد.
- المنصف في شرح تصريف المازني لابن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، القاهرة ١٩٥٤-١٩٦٠م.
- نزهة الألباء لابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧م.